

لُغَةُ الْعَرَبِ

مَجْلَدُ شَهْرِيَّةِ اَدَبِيَّةِ عِلْمِيَّةِ تَارِيخِيَّةِ

الجزء ٥ من السنة ٢ عن ذي القعدة وذو الحجة ١٣٣٠ - تشرين الثاني ١٩١٢

❖ نبذة ❖

(من عادات المراقبين المسميين)

كلمة في عاداتهم

Pratiques et Superstitions religieuses chez les Musulmans
de Mésopotamie.

المراقبون من اسرع الناس الى التقليد، وكثرهم انهما كما بكل شيء جديد،
واشدهم اسماً كما بعاداتهم وآدابهم واخلاقهم. ولا ابالغ اذا قلت ان ليس
من قوة موجودة فوق الارض « غير الله » قادرة على تغييرها او ابدالها
بأحسن منها. سرح طائر نظارك في ارجاء العراق وانعم انظر في احوال
قطانه وعاداتهم ونفقدهم شؤونهم وحركاتهم وسكناتهم ، وراقب احتفالاتهم
ومجمعاتهم ، وتدبر مسامحاتهم ومحادثاتهم ، وانقدها نقد الصيرفي الماهر
للدرهم والدبنار. نجدها لأول وهلة لا تختلف كثيراً عما كان عليه آباؤهم
في سالف القرون ، بل لتجدن اطوارهم وعاداتهم التي هم عليها الآن تنطبق
تمام الانطباق على وصف الباحثين والأثريين والسياح لسكان هذه
البلاد قبل مئات من السنين، وانك لا ترى فرقاً كبيراً بينهم وبين اسلافهم
سواء كان في العادات او الآداب او الاخلاق اذ ان هذه البلاد قد

استعمرها ام عديدة واحتلتها دول كبيرة فلم تؤثر فيهم كثرة اختلاطهم بالامم والشعوب، لا بل لم تغير شيئاً من عاداتهم اللهم الا بعض امور طفيفة لا يعتد بها لعدم شمولها جميع قطان القطر العراقي وهو امر بذلك على شدة تمسكهم بها وبثبت لك ذلك.

يبدئك بيننا نراهم شديدي التمسك بتلك العادات ضارة كانت ام نافعة؟ مخالفة لآداب الديانات ام موافقة لها، تخدم اسرع الناس تبديلاً وتقليداً للامم في كل شيء غريب في ازيائهم وقيامهم وقعودهم واكلهم وشربهم، ويظهر ذلك لسكل من جاء بغداد قبل عشر سنوات ولا حظ ما كان عليه اهلها من السذاجة والبداوة ثم غادروا وقدما ثابة رآها اليوم قد لبست حلقة من حلل التمدن، وعلى قطانها من الازياء الغربية والاطوار العجيبة ما لم يكن العراقيون يعرفونه سابقاً وكثيراً ما كانوا يستهجنونها ويقبحون من جرى عليها او استحسناها. ولا ريب انك لو حولت الوجه نحو هذه البلدة قبل اعلان الدستور وتديرت ازياء العراقيين لوجدت فيهم ميزات فارقة بين اليهودي والمسيحي والمسلم اذ كان لسكل علامات او خصائص تدل عليه. ولو نظرت نظيرة في اسواقها الطويلة العريضة وشوارعها وازقتها لما رأيت نصراً ابساً لا بساً المبريطة الا المستخدمين في الوكالات والمحلات التجارية الكبرى ممن جابوا بلاد اوروبا ونشأوا في احضان اسانذة كليانها وتغذوا بلبان علومها ومعارفها. ولما رأيت يهودياً لا بساً الملابس الافرنجية على ما هو عليه الان الا ما قل وتندر، ولما رأيت مسلماً لا بساً الطربوش ومتربياً بالزي التركي او الافرنجي الا الموظفين في خدمة

الحكومة «١» بل رأيت أكثرهم ولا أقول كلهم على ما كان عليه أبائهم متمسكين بالملابس العربية وهي لبس العباءة والعمامة والعقال، فكنت إذا دخلت أسواق بغداد في هائبك اللازمة تصورت أنك في القرون الوسطى ولجلت لك البداوة والسذاجة بأجلى مظاهرها وأبهى مناظرها . فلما أعلن الدستور واحسنت الأمة العراقية بالنزلة الاوربية سرعان ما قلدهم في ملابسهم ومأكلهم ومشربهم حتى أنك اليوم لتعجب كل العجب من هذا التقليد الغير المنظر وظهر لك الفرق بين الزمانين ، ولكن هل ظهر الفرق في عاداتهم واخلاقهم كما ظهر في ازيائهم وملابسهم ؟ كلا، ثم كلا، فان هائبك العادات قد استحكمت عراها بمرور الزمن وقسوة الاستمرار فنوطدت اركانها ، وازداد القوم تمسكاً بها مع وجود طبقة من الثابتة الحديثة تحاربها بكل قواها وتنتشر الفضيلة بين السكان ولين لهم اضرار هذه العادات المستهجنة التي ربما قضت على البقية الباقية من اخلاقهم النبيلة، وصانهم الجبلية فتقذف بهم من حائق الى مهاوي الهلاك والدمار .

انا لا اريد بمقاتلي هذه ان احارب عادات العراقيين واندد بالتمسكين بها اذ ان ذلك يحتاج الى وقت غير هذا الوقت ، وقت يعرف فيه الشعب حقيقة الحياة ووظائفه في هذا المعترك ويعي بل ويندبر ما يقال له . ومن العيب ان هر يد رجل عاجز مثلي القضاء على عادات امة كبيرة ، كأمة العراق بمقالة او مقالين او ثلاث وهي قد استحكمت فيهم منذ عدة قرون

١. لم يتغير زي العراقيين جميعهم بل الذين حصل في لباسهم تغير هم اهل بغداد والبصرة فقط . اما الباقى كأهل كركلاء والنجف والساوة، وسامراء وغيرها من البلاد فلم يتغير من زيهم شيء البتة .
(لغة العرب)

وقويت شوكتها وغرست في قلوبهم واستفحل شأنها بينهم حتى عدا كثرتها في عداد العادات الدينية ولا اغالي اذا قلت انهم يهتمون بها اكثر من اهتمامهم بأمر الدين ولا ريب ان ذلك عبء ثقيل لا يطيق حمله بل ادع ذلك لعظماء الرجال الذين يعرفون كيف يهذبون اخلاق الشعوب ويجعلونها خالصة نقية من كل شائبة خرافية من حيث لا تدري ولا تشعر بيدان الذي اريد ان اسطره على صفحات هذه المجلة الغراء هو ما وقفت على نبذ من عادات العراقيين في افراحهم واحزانهم واحتفالاتهم المحومية والخصومية وطربهم وانسهم وحديثهم وتخمينهم ليظنوا لدى القارئ انني ما وصلت اليه حالة سكان العراق من التأخر والانحطاط في تمسكهم بعادات خرافية ومعتقدات ما انزل الله بها من سلطان حتى انهم يضاهون بها برايرة افريقيا وقطان مغوليا في خرافاتهم التي قتلت كل شعور وامانت كل احساس وادراك.

٢ عادات اعتقادية

١ * جنبر سوري * «١» — هذه الكلمة محرفة عن چهارشنبه سوري، «٢» ومعناها عيد نهار الاربعاء اذ ان الفرس يزعمون بوجود دار بعاء واحد لحس

«١» بالجمع الثلاثة الفارسية وزان جعفر وسوري بضم السين وسكون الواو بعدها راء مكسورة وفي الآخر ياء مخففة .

«٢» ومن عاداتهم في ذلك اليوم انهم اذا اقبل عليهم صباحه يذهبون قبل طلوع شمس الى الشط، ويقلمون اطرافهم، ويقلمون وجوههم، ويرمون عن كل شخص منهم حجراً في الماء حتى عن الثوب منهم ويرمون ايضاً في الشط عن كل واحد منهم ملعقة (خاشوقة) من طيخ يطبخونه طبخاً خاصاً بذلك اليوم — واسمه عند العرب (رشنة) وعند العامة من العرب (ام السلايخ) وذلك لان فيه نوعاً من العجين مقصوصاً شبه السلايخ واسمه في العربية الفصحى (رشيدة) . ويشيرون برى الحجر والطبيخ الى انهم افروا عنهم كل بخوس السنة بتمامها ثم يرجعون الى دورهم طريين مسرورين وقد يخرج بعضهم في عصر ذلك اليوم الى البر للتنزه ولكنهم اقل من الفايول امامنا وصفه الكاتب، فهو ينطبق على يوم يسمى عندهم (ستره بدر) ومعناه (الثالث

وسائر الاربعاءات واربعاوات سعد ولهذا يطربون وينزهون فيه طرد النحس والشؤم. وهو اجتماع عام يستحضر فيه آلات الانس والطرب ويختلط فيه الرجال والنساء، ويكون ذلك عصر آخر يوم الاربعاء من صفر في كل سنة فيخرج فيه الاهالي من رجال ونساء وبنات وبنين بالزينة الكاملة الى موقع خارج البلدة مخفوف بالازهار والاوراد حيث يكون العشب قد زاد الارض رونقاً وفضارة وكساها جملة خضراء من حبل الطبيعة البهجة، فلا تسمع في ذلك الوقت الا نغمة عود وغناء مغني وطرب مطرب وهكذا. يبقون حتى غروب الشمس فيعودون الى منازلهم فرحين جذلين مستبشرين. وقد علمت ان السبب لهذا الاحتفال الذي جعله العراقيون عادة من عاداتهم المفروض اجرائها هو اعتقادهم بأن شهر صفر شهر نحوس وويلات تكثرفيه النوائب ونزداد فيه الكوارث والمصائب وكذلك اعتقادهم بأن يوم الاربعاء من الخس الأيام وهو عادة من عادات العرب الاقدمين اخذوها عن الفرس والمجوس فكأنهم بهذا الانس والطرب وهذا الاحتفال الذي يقسمونه كل عام ينزعون من انفسهم رداء الشرور نقاؤلاً. وقد بلغت السخافة ببعض الناس انهم في يوم الاربعاء لا يذهبون الى حمام ولا يحلقون رؤوسهم ولا يغسلون ملابسهم لتحسه ويستدلون على ذلك بان اليوم الذي اخذت فيه الريح الصرصر قوم عاد هو يوم الاربعاء وهو اعتقاد اكثر المتجمين بيد اننا لو حسبنا ان كل يوم يحدث فيه نائبة او كارثة

عشر الى المخرج) ويكون دائماً بعد يوم عيد النوروز (دورة السنة) او التحويل بثلاثة عشر يوماً. ولهذا اطلقوا عليه هذا الاسم ويعرف عند العرب من اهل بغداد (بكسلة دورة السنة اي بطلتها)

(لغة العرب)

لحس لكانت كل الايام منحوسة لانه لا يخلو يوم من كارثة وقعت او تقع فيه.
 ٢ ﴿الصوم الحرساني﴾ «١» - من العادات التي فشت بين العراقيين
 فشواً كبيراً الصوم الحرساني. وهو صوم من شروق الشمس حتى نصف
 النهار تصومه كل انثى بلغت الحلم صوماً عن التكلم في هذه المدة واذا
 احتاجت الى التكلم تكلمت بإشارات تدل على مطلوبها ومرادها ويكون
 ذلك في اول يوم الاحد من شهر شعبان في كل سنة، وقد جاء ذكر هذا
 الصوم في سورة مريم على لسان السيدة مريم عليها السلام وهو «وقولي
 اني نذرت للرحمن صوماً فلن اكلم اليوم انسياً» الا ان الدين الاسلامي
 لم بأمر المندبين به بوجوب صيامه فهو اذا بدعة منكورة .

٣ ﴿صوم زكريا﴾ - هو صوم خاص بنساء العراق المسلمات وذلك
 بان تمسك المرأة نفسها عن الاكل والشرب وكل ما يفسد الصوم من شروق
 الشمس الى الغروب. وعند الغروب يجري احتفال شائق في كل بيت من
 بيوت المسلمين يجتمع فيه اهل البيت فيمدون الموائد وعليها صنوف الاطعمة
 والاشربة وكل ما تشبهه النفس وتلذذ لمرآة العين. ويضعون بجانب مائدة
 الطعام مائدة اخرى في وسطها صحن بلو «حناء» محاط بأباريق و«نك»
 «جمع نكة وهي الكوز بلسان اهل العراق والكلمة فارسية الاصل
 بمعناها» على عدد ما في البيت من الانفس فيخضون بكل ذكر ابريقاً
 وبكل انثى نكة ويحيطونها بشموع ويضعون في افواه الابارقة والنك
 باقات الزهور ويكفلونها بورق الليمون والبرنقال والباسمين، وعندما تقرب

٢٥ الحرساني يضم الحناء ضمّاً غير محكم والبعض يكسرونها عليها وآه صاحبة
 يدها سين والف يلبها تون مكسورة يدها ياه مشددة نسبة الى الحرساني عليه .

الشمس ويحيى وقت الافطار تجتمع العشرة على المائدة المشحونة بكل انواع الطعام، وعندها يقرأ احد العارفين بأصول القراءة سورة من سور القرآن وتكون على الاغلب سورة مريم برمتها وبعد ذلك يفطرون اولاً على خبز من الشعير وماء البئر وباقات من الكراث والكرفس وبعدها يتناولون مايشهون «١» وتجري العادة على هذه العادة في الاحد الاول من شهر شعبان من كل سنة .

٤ * صوم البنات * - وهو صوم تصومه كل انثى مسلمة بلغت سن الرشد وذلك في اليوم السابع والعشرين من شهر رجب في كل سنة، وهذه العادة على ما كنت اظن خاصة ببنات الكرخ لاني لم ار لذلك اثرأ في جانب الرصافة الا اني قد سمعت من بعض الاصدقاء انها شاملة لجميع صبيات بغداد . وهن يستعددن لهذا الامر قبل شهر او شهرين من شراء الالبسة الفاخرة وادوات الزينة وفي ٢٧ رجب من كل سنة تذهب بنات الكرخ يزبنتهن الى مسجد امام بجانب الكرخ يعرف "بامام حبيب العجمي" فيفتحن المسجد ويدخلن الضريح ويطلقن حوله من جهانه الاربع وبايديهن الشموع ويتغنن بهذه العبارة «جئنا نزورك يا حبيب العجمي» .

«٥» بعض النساء يصمن ثلاثة ايام متواليات، واما ما ذكره الكاتب بخصوص الاربع للذكور والشكة (والاصح الشربة) للاثني فهذا يكون في عيد دورة السنة (اي النوروز) وله وصف بديع ليس هذا محله .

اما هؤلاء فانهم يصفون عند الافطار شمعة ويضعونها على حافة البئر، ويأتون بآريق صغير جداً يكون جديداً، ويضعونه ايضاً على حافة البئر، ثم يقطرون . والذين ليس في دارهم بئر يضعون كل ذلك على (صينية) اي (على طبق من نحاس) ويصلون قبل الافطار ركعتين . (لغة العرب)

شمعة بطولك يا حبيب العجي». واما بنات الرصافة فيذهبن على ما بلغني من احدثهم الى الشيخ الخلافي بالقرب من تربة الشيخ عبد القادر الجيلي. وبعضهن يخرجن الى خارج البلدة الى مسجد الشيخ عمر السهروردي ولم احفظ ثرثرائهن لكثرتها واختلاف بعضها عن بعض.

٥ «حادثۃ الكسوف» - عندما تكسف الشمس او ينسف القمر يصعد اكثر عامة المسلمين الى سطوح دورهم فيطلقون الرصاص في الفضاء ويضربون على الطوس وعلى كل شيء له رنة عالية ودوي مخيف وينشدون في خلال ذلك الموقف هذه الكلمات :

يا حونه يا المنحونه «١» «طلعي قمرنا العالی» وان كان ما طلعته «نضربك بالجاقوج» ٢

وهم يعتقدون ان منشأ هذا الحسوف والكسوف التقام الحوت للشمس او للقمر فهم بهذا الصراخ والصياح وهذا الدوي يريدون اربابه لتخليصهما منه وذلك لا اعتقادهم بأن في السماء بحر يسمى «بحر القدرة» وفيه مثل هذا الحوت الكبير الذي يبتلع الشمس والقمر برمتيهما باللسعافه والحماقة «٣» !

٦ «اطلاق الرصاص في الفضاء» - قد اعتاد العراقيون عادة من اقبح العادات واظلمها من عادات الجاهلية التي بقي العراقيون عاكفين عليها كما عكفوا على غيرها من العادات الذميمة المتأفة لروح المدنية، والمشوهة لصفات الانسانية، وهي انهم يطلقون الرصاص في الهواء بعد غروب الشمس عند

«١» المنحوتة : المنحوسة دلي لغة من يقاب الدين تاء. راجع لغة العرب ٢٥٣:١

«٢» الجاقوج عجمية من مثلثين فارسيين كلمة فارسية معناها الكبت الصغيرة وهي تعريب جاقو

«٣» هذا العمل مخصوص بنسوف القمر فقط وقد يضرب بعضهم - اذا كفت

الشمس كسوفاً ينادى بحيث يريب اكثر من نصفها - على الطوس فقط ويقول اهل دجيل

رؤيتهم هلال صفر «١» . وربما يكسرون الاكواز وكل شيء له دوي
ويعلمون ذلك بان شهر صفر شهر مشؤوم نتوالى فيه الرزايا على العباد
فيطلقون بنادقهم لارهابه ولطرد الشرور . ولم يغير ذلك من السخافات
كلها من هذا القبيل وكذلك يفعلون في آخر ليلة منه .

٧ ﴿ كربة عليها شمعة ﴾ ومن عادات العراقيين المتمسكين بها تمسكاً
شديداً والتي توارثها الابناء عن الاباء وهو لاء عن الاجداد هو ان المريض
اذا نقل عليه مرضه واراد اهل معرفته تنبئة المرض من ثقيلة او خفيفة
بأثوب بكربة عليها شمعة مشعولة يسرونها على دجلة «٢» فاذا توارت
عن الانظار ولم يصادفها شيء يعيقها عن سيرها او يذهب بضائها علم ان
شفاء المريض محقق لامحالة ! وتبشر اهل بذلك اما اذا صادفها عارض قبل
نواربها عن الابصار او انطفأ ضياؤها علم اهل المريض انه ميت لامحالة !
وعندئذ يعلو الصراخ ويزداد العويل والتعيب وربما مات المريض لساعته من كثرة
الصراخ ومن يأسه من الشفاء . وهذه التجربة لا تكون الا في ليلة الجمعة .

٨ ﴿ القعود في الطرق ﴾ قد اعتادت نسوة العراق المسلمات القعود في
الطرق ليلة الجمعة قرب الساعة الواحدة والنصف شرقية وذلك ان المرأة

واطرافه عند خسوف القمر وهم يضربون على الطوس عن لسان (الموت) وهي تكلم
القمر بهذا الكلام «حس حس ما ظل بالجو ناس» . ومعناها : اذن اذن ، ليس في الجو احد
يضر لك . فيجيبها القمر : لا اسمي لك = (دق) الصفر . واسمى دن (اي طين)
(الاجراس) = (الاجراس) . (لغة العرب)

٩ لا يطلق احد وصاصاً بل ولا يكسر من الاكواز شيئاً عند رؤيته هلال صفر ليلة
بل كل ذلك يكون عند رؤيته هلال شهر ربيع الاول . ويضعون في كل كوتر يريدون
كسره (بارة او قرشاً) ويلوثونه ماءً ويكسرونه وذلك تقاضاً لا يكسر الكسر . (لغة العرب)
١٠ يهدونهم الى الحضر وبعضهم يشدون ذلك للحضر اذا شافى الله المريض . (لغة العرب)

إذا كان لها زوج غائباً وانقطعت عنها أخباره وراذت معرفة ما إذا كان
 مجيئه قريباً أو بعيداً أو ما هو عليه من صحة وسقم أو خير وشر أو إذا لم يكن
 زوجها غائباً ولها مريض وراذت معرفة ما إذا كان شفاؤه مرجو أم لا ،
 وغير ذلك من معرفة المجهولات تفعد على مفرق ثلاث طرق ونقبض
 بيدها على ثلاثة أحجار فتري واحداً منها على الطريق الذي عن يمينها
 والثاني على الذي عن يسارها والثالث على الجهة القبلية وتقول هذه
 الكلمات «يا خيرة الدرب غليني ما في القلب زينة ثنين شينة ثنينين»
 وبعده تفعد صامتة تراقب ما يقوله الآتون والذاهبون فإذا سمعت كلاماً
 منهم تعتقد فيه الخير استبشرت وفرحت وإذا كان شراً حزنت واكتأبت
 وكذلك شأن الجاهلدين

٩ ﴿خبط الحمي﴾ قد اعتاد العراقيون عادة تصحك الشكلى وتدل على
 سخافة في القول وسذاجة في الأفكار وهي ان كل من تعربه الحمي يأخذ
 اهلوه خيطاً من القطن ويذهبون به الى باب احد الجوامع في ليلة الجمعة
 قبل صلاة العشاء فيقبض احدهم على طرف منه والاخر على الطرف
 الثاني ويمدونه على الباب ليكون بمنزلة مانع الدخول وبقون كذلك الى ان
 يخرج المصلون من الصلوة وعند ذلك يقطعه اول الخارجين من الجامع
 فيعتقد اذذاك اهل المريض ان الحمي قد انقطعت عن مريضهم وانتقلت الى
 قاطع ذلك الخيط ! «١» الى هذا الحد بلغت الخفة والسخافة بالعراقيين وكانوا

«١» اويضعونه في طريق عام فيقطعهم احد المارين به وهذه العادة والتي قبلها
 من عادات البغداديين اما اهل البلاد الاخرى من العراق فلم عادات اخرى ليست
 كهذه وسندكرها فيما بعد ان شاء الله (لغة العرب)

في ما سلف اساتذة العالم ومهذي اخلاق الشعوب وهكذا يكون الجمل فانه
كقدح السم من شرب منه اودى به «١» .
ابراهيم حلمي

الماليسور

Les Malisores.

١ مدخل البحث

كثر الكلام في هذه الايام عن الماليسور او الماليسور ، واذا اردت ان
تعرف من امرهم شيئاً لا تكاد تقع عليه في كتبنا العربية حتى ولا في كتب البلدان
او التاريخ واهذا كتبنا هذه الاسطر ليقف على حقيقةهم من بهمة هذا الامر .
٢ تعريفهم

الماليسور قبيلة من قبائل الارناؤوط او الالبانيين معروفة بشراستها
وشدة اخلاقها وتعلقها المفرط بالحرب والصدو والاستقلال والاستبداد واخذ
النار من الاعداء ، وبلادهم واقعة في اقصى تركية «٣» اورية من بعض
جهتها الغربية على البحر الادرياتيكي .

٣ عددهم وقبائلهم والوتهم

يبلغ عددهم اليوم ٥١٤,٠٠٠ لا غير . فيهم ١٥٤,٠٠٠ مسلم و ٢٢٠ رومياً
ارثوذكسياً والباقي اي ٣٥٤,٨٨٠ هم نصارى كاثوليك فيكون الثلثان منهم
كاثوليكاً والثلث الآخر مسلمين . وهم يقسمون الى عدة افخاذ او عشائر
اشهرها الخطبة والاكلمنتية والكستراتية وهناك غير هذه الافخاذ وهي
هذه باسمائها واقسام الوتهم وعدد نفوسها :

«١» جميع الحواشي التي على مقالة العادات هي لمدير المجلة

«٢» ايدي بعضهم «تركية» بلفظة «العثمانية» فائين ان تركية من الالفاظ الخاصة
بالترك وهي تنفي وجود سائر العناصر في البلاد ونسوا ان الكل قد يسمى بالجزء من
يأب التعميم او اطلاق قيد التخصيص .